



آلية التفكير الصوتي في صناعة كتاب العين للخليل

الدكتور حسام "محمد عزمي" العفوري

فريق عمل البرنامج الحاسوبي

م. أنور الفليح العبادي

ياسين إسماعيل عماره

رشا علي العوايشة

جامعة البلقاء التطبيقية _ كلية الهندسة التكنولوجية

الأردن - عمان

آلىة التفكفر الصوىى فى صناعة كئاب العفن للخلفل

ملخص الدراسة

من فنعن النظر فى كئاب العفن للخلفل بن أءمء؁ فءء فىه علم اللغة الغزفر المئمئل فى إءصاء واستففاء العربفة بصنعة محكمة ءقفة ءء أوفى بها الخلفل ءفن ءمعها؁ وبئها فى كئاب اسئءءم فىه علم الأصواء المسئءرء من علوم القرآن وبخاصة ءءوفء؁ الذى مكن للخلفل أءناً موسفقىة ءعمق طرفة تفكفره النافءة فى صناعة كئاب العفن؁ ءفء وءع معءمه على ءءر مءارءها وأءفاءها ومءارءها من الءلق مروراً بالءرة الفموفة إلى الشفئفن؁ ومعروف لءى ءارسفن أن ءألفه كان من صوء العفن مئءرءاً ءسب المءارء وصولاً إلى صوء المفم: ع؁ ء؁ ه؁ خ؁ غ؁ - ء؁ ك؁ - ء؁ ش؁ ض؁ - ص؁ س؁ ز - ط؁ ء؁ ت - ظ؁ ء؁ ذ - ر؁ ل؁ ن - ف؁ ب؁ م - بالإضافة لصوء الواو؁ والألف؁ والفاء - والهمزة.

فالخلفل فى هءه الصناعة ائبع المنهء ءءرفبى الإءصائى والرفاءى؁ والعقلى؁ من أءل اسئءراء كل كلماء العربفة المسئعملة والمهملة؁ مئءذاً من (النقاء اللغوى) سببلاً؁ كما عفر عن هءا المصطلىء ء. نهاء الموصى.

ومعروف للءارسفن والباءئفن كافة فى هءا المءال؛ أن كئاب العفن فئءءء عن طرائق الائئلاف والاءئلاف فى ءشكل الكلماء صوءتياً بأبعاءها النطقفة والففزفاءفة من ناءفة العملفاء المئئابعة فى نطق الكلمة من أعمق صوء وهو (العفن)؁ كما فراه الخلفل؁ إلى أن



وصل لصوت الميم من الأصوات الصأحة؁ بالإضافة للأصوات اللينة أو الهوائية (الواو؁ والألف؁ والياء - والهمزة)؁ والحالات الآلية التي يتم الانتقال بها من حالة إلى حالة؁ أحيثُ إنها تختزل أصوات الكلمة في المعنى.

أختصت الدراسة بآلية النطق حسب عمليات تتاسق الأصوات في إنتاج كلمة ذات معنى؁ وحالات انتقال مدارج الأصوات ومآارجها من الحلق إلى الفم إلى الشفاه في توافق دقيق لرسم صورة الكلمة في ذهن المستمع؁ معبرة عن المعنى في البيئة التي يعايشها الإنسان؛ فإن كان للكلمة معنى تستخدم فيه تسمى مستعملة؁ والتي ليس لها معنى ترفض وتسمى مهملة؁ كتقليب أصوات (العين؁ والهاء؁ والقاف)؛ ف(ع؁ ه؁ ق) و(ه؁ ق؁ ع) = عهق وهقع لهما معان؁ و(ع؁ ق؁ ه)؁ و(ق؁ ع؁ ه)؁ و(ه؁ ع؁ ق)؁ و(ق؁ ه؁ ع)؁ ليس لها معانٍ؛ فبالإتلاف والإختلاف في الأصوات تتشكل الكلمة ذات المعنى وتتساوق عند الفرد للتواصل بين أصحاب اللغة الواحدة؁ وقد يذكر الكلمات المهمة؁ أو يتركها؁ وهكذا.

وهذا الأمر يندرج في كيفية استخدام هذه الأصوات في تشكيل الكلمات ذات المعاني المختلفة؁ وما لها من فائدة في الخطاب الإنساني. وهدفها تحقيق وإثبات عدة فرضيات:

الأولى: الأثر المنهجي في صناعة معجم العين على كثير من المعاجم.

الثانية : العلاقة بين الأصوات الحلقية فيما بينها؁ وبين الأصوات الفموية والشفوية.

الثالثة: كيفية آلية النطق عبر حركية اندفاع الهواء؁ وإنتاج الصوت اللغوي.



لذلك نظرنا إلى المعادلة التالية في تقليب الاحتمالات الثنائية لرسم الخطوط الأولى في صناعة معجم العين: 29×29 ؛ فالنتيجة (841) تقليبة ثنائية من الأصوات المستعملة والمهملة، من مثل: عق، قع، عك، كع، وأيضاً المعادلة التالية في توزيع الاحتمالات الثلاثية، هي: $29 \times 29 \times 29$ ؛ فالنتيجة (24389) تقليبة ثلاثية من المستعمل والمهمل من الأصوات، من مثل: عهق، عهك؛ فهذه التقليبات التي استخدمها الخليل في صناعة العين. وتقليبات الأصوات الرباعية هي: $29 \times 29 \times 29 \times 29$ ؛ فالنتيجة (707281)، ومعادلة التقليبات الخماسية $29 \times 29 \times 29 \times 29 \times 29$ ؛ فالنتيجة (20511149)، وهكذا نرى الكم الهائل من التقليبات التي أحدثها الخليل في صناعة العين.

وبهذا نكون قد أسسنا برنامجاً يدل على كيفية التفكير عند الخليل في صناعته

معجم العين.

آلىة التفكفر الصوى والنطقى فى صناعة كتاب العفن

إن الدارس للآلة النطقفة فى عصرنا الحالى لن ففء فىه أمراً صعباً، أو خرقاً للعادة؛ لأن الأجهزة الءفئة فى الكشف عن مكنونات الطبفة الإنسانفة، سواء أكانت طبفة، أم فسلولفة، أم عضوفة، أم ففزفائففة فهف فى مئاول العالم والباحئ والمئعلم، وإن شئت أن ئئوصل إلى فهود العلماء سئئوصل إليها بطرفة عفن عبر الشبكة العنكبوففة.

فالناظر إلى بواكفر المعجم عامة، فسوف ففء أن فذور المعجم ئعود "إلى أمرفن: أولهما القءرة على ئصنف الأشياء ووضعا ضمن فئات؛ وئانفهما القءرة على ئشكل الروابط الفكرفة بفن مئئلف الءوافز؛ فبءون الفئات لا فمكن أن فكون هناك أشياء ئربط بفنهما الرموز، وبما أن الرموز اللغوفة، لا ئربط مباءرة بالأشفا فى العالم ولكنها ئربط بالمفاهم الئف لءفنا عن الفئات المعممة الئف ئئئسب إليها الأشياء الخام". i

"لقد ائلف الخلفل بن أءمء على الرسائل اللغوفة السابقة عفله فلاحظ أنها لا ئسفر فى جمع اللغة على أساس علمف مقبول وأنها لا ئخلو من ئكرار، فلا فمكن عن طرفقها أن ئجمع الألفاظ جمعاً عاماً كما أراد الخلفل. ورأى أيضاً أنها لا ئفى باءاة الباعئفن وأنئ ئئءوفن على هذا النءو لا فءقق الءفف المنشوء الذى من أءله وضعت هذه المؤلفات وهو: ففظ اللغة من الضففاع، ذلك أنها فر مرئوعفة وفر ءاصرة. ففكر الخلفل فى الأمر، ثم

قدّر فهدى إلى منهج يمكنه من تحقيق غرضه، ذلكم هو منهج التقليات الصوتية، وعليه

كان معجم "العين" للخليل.ⁱⁱ

"كان أول معجم كامل في اللغة العربية من تأليف الخليل بن أحمد أستاذ سيبويه، لقد

عرفنا سالفاً أن الخليل كان مشتركاً في مشروع الخط العربي، وكذلك يعزو إليه العلماء

العرب بداية نظرية العروض في الشعر، وكان هدف كتاب العين .. هو جمع كل الجذور

العربية؛ يقدم المؤلف في مقدمة الكتاب تصويراً عاماً لأصوات اللغة العربية، وقد ضم

المعجم كل المادة المتاحة في اللغة العربية من خلال تضمين اقتباسات من القرآن الكريم

والشعر العربي الجاهلي - وهما مادتان درسهما النحويون العرب دراسة مستفيضة.ⁱⁱⁱ

لم تتجاوز الدراسات في كتاب العين المنهج الصوتي، وما كان له من الإيجابيات،

وما عليه من السلبيات التي جعلت كثيراً من العلماء ينكرون على الخليل طريقته الجديدة في

الاستقصاء والبحث؛ ومنهم من نفى تأليفه لهذا الكتاب لوجود بعض الأخطاء في الاشتقاق

والتصريف، والتصحيح.^{iv}

ومعروف لدى الدارسين أن هذه الأخطاء نابعة من اختلاط علوم العربية في ذلك

الوقت، والتي لم تتمايز بعد، وطريقة الخليل طريقة استقرائية تحليلية بحثية تقوم على أساس

تقليبات أصوات الكلمة، وكيفية إنتاج الكلمات من الجذر الواحد حيث المعنى والدلالة

اللغوية؛ فإن كانت الكلمة مكونة من صوتين فتكون ثنائية، ومن ثلاثة أصوات ثلاثية، ومن

أربعة أصوات رباعىة، ومن خمسة أصوات خماسىة، وهذه الخطوة هى "الآى أعانآه على حصر ألفاظ اللغة بأحكام بآىآ لا يفآ منه لفظ." ^v

ومن الطبقى أن ىحدث آلل ما؛ أولاً لأن هذا العلم قام أساساً على المنهج التجربىى، ولم ىسبقه منهج آلى نقول: إن الآلل آآبع طرىقآه، وآانىاً: آاء الآآب بأحصاء واستقراء وآوثىق اللغة العربىة كما هى؛ أى نسخة طبق الأصل للواقع اللغوى المآآآدم فى زمن الآلل ومن قبله.

عنوان المعجم ودلالآه

معنى كلمة العىن:

آآعدد معانى كلمة العىن؛ فهناك العىن الناظرة لكل ذى بصر، وعىن الماء، وعىن الرُكبة. والآىن من السحاب ما أقبل عن ىمىن القبلة، وذلك الصُّقعى ىسمى العىن. نشأت سحابةٌ من قِبل العىن فلا آكاد تُخلفُ. وعىن الشمس: صَيَّخْذُها. والآىن: المال العآىد الحاضر. وىقال: إنَّ فلاناً لكرىم عىن الكرىم. وىقال: لا أطلبُ آثراً بعد عىنْ، أى: بعد معابنة.

وىقال: العىن: الدىنار. قال أبو مقدم:

حبشىٌ له ثمانون عىناً بىن عىنِىه قد ىسوقُ إفاًلا

وعِنتُ الشىءَ بعىنه فأنا أعىنُْه عىناً، وهو معىون. وىقال: رآل معىان: آبىبُ العىنْ، قال فى المعىون:

قد كان قومك يحسبونك سيّداً وإخال أنك سيّد معيون

والعين: المِيل في الميزان، تقول: أصلح عين ميزانك. والعين الذي تبعثه لتجسس الخبر، وتسميه العربُ ذا العِيَيْنَيْنِ، وذا العِيَيْنَيْنِ كله بمعنى واحد. ورأيتُه عياناً، أي مُعَايَنَةً.

والعين عظم سواد العين في سَعَتِها.

وهؤلاء أعيان قومهم، أي أشرف قومهم. ويقال لكل إخوةٍ لأبٍ وأمٍ، ولهم إخوةٌ لأمّهات شتى: هؤلاء أعيان إخوتهم.

والماء المَعِين: الظاهر الذي تراه العيون.

وثوبٌ مُعَيّن: في وشيه ترابيع صغارٌ تُشبه عيونَ الوحش.

وأولاد الرجل من الحرائر: بنو أعيان، ويقال: هم أعيان.^{vi}

رجل عالم بهذه المعاني الكثيرة لكلمة (العين)؛ فهل من المعقول أن يسمى كتاباً شريفاً

يحمل اللغة العربية بحرف واحد فقط؛ لكن لا بدّ أن يحمل هذا الكتاب إلى جانب ما حمله

من معنى صوت العين، معاني كثيرة تظهر لنا الجوهر من خلال المظهر.

إشكاليات التأليف الأول وأسبقيّة المعجم

يتساءل المرء أي العلوم كانت أسبق عند الخليل، المعجم متمثلاً في كتاب العين أم

علوم القرآن متمثلة في القراءات القرآنية والتجويد، أم النحو بما جاء في آرائه في كتاب



سيبويه، أم النغم والموسيقى، أم القافية والعروض متمثلة في كتاب العروض؛ فالناظر إلى مصطلحات النظام اللغوي التي برع فيها الخليل سواءً كانت معجمية المفردات، أو القراءات القرآنية، أو النحوية، أو الموسيقية، أو العروضية في كتاب العين، لن يجد فيه مصطلحاً بعينه ممن صنعه الخليل ضمن كلمات المعجم، وهذا دليل على أن كتاب العين أسبق من كل علوم العربية، وهذا دليل آخر على أن بداية الخليل، وأساس علومه ومعرفته وبحثه كانت في كتاب العين.

فلذلك سنجد في التأليف والمنهج النقاط^{vii} الآتية:

1. حشد ألفاظ اللغة وترتيبها على أساس صوتي مترسماً في ذلك مخارج الحروف، فبدأ بالحلقية، ثم تنى باللسانية، ثم تلت بالشفوية، ثم أنهى بالجوفية.
2. جرد الكلمات من زوائدها، فراعى الحروف الأصلية لكل كلمة.
3. استقصى ألفاظ اللغة ناظراً إلى أبنيتها التي حددها الصرفيون بأنها لا تخرج عن الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وجعلها أبواباً ووزع على ضوئها ما جمعه.
4. مراعاة نظام التقليلات وذلك بحشد المفردات المؤلفة من حروف واحدة في موضع واحد.

5. دعم شرح المادة اللغوية بشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

والشعر وفصيح الكلام.

فالبؤرة المعرفية والمرتكز العلمي بدأ في كتاب العين، فالخليل ابتدع هذه الطريقة بإحصاء واستقراء وتوثيق اللغة على أساس صوتي يعتمد على مخارج الأصوات اللغوية من صوت العين إلى صوت الميم، بالإضافة إلى صوت الهمزة والألف والواو والياء، أي ترتيب الأصوات على طريقة الخليل بن أحمد؛ فابتدا بأدخل الأصوات في القناة الصوتية كما رآها، وانتهى بذكر ما يخرج من الشفتين.^{viii}

وفي معنى الإعراب في العين يقول صاحبنا: العِرابَةُ والتَّعريب والإعراب: أسامٍ من قولك: أعربت، وهو ما قبح من الكلام. وأعرب الرجل: أفصح القول والكلام. وقد يُعدّ الكلام السابق مقدمة للاصطلاح النحوي، وقد لا يصلح لأنه كلام عام.

أما في لسان العرب لابن منظور فقد ذُكرَ أن عَرَبَ مَنْطِقَهُ هَذَّبَهُ من اللحن. والإعراب هو النحو، وهو الإبانة عن المعاني بالألفاظ. وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب، ففي هذا الكلام وضوح المصطلح النحوي عند ابن منظور.

وهذا الكلام يعزز فرضيتنا أن كتاب العين كان أسبق كتب الخليل أو ما نقل عنه من علوم؛ لأن علم المعاجم نبع تجلى منه النظام الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي.

ولو كان النظام اللغوي بالإضافة للعروض أسبق لوجدت فيه جميع مصطلحات العربية دون منازع، وقد يقول قائل إن كتاب العين لم يكتبه الخليل لعدم وجود هذه المصطلحات، فنقول له إن مصطلحات مستويات النظام اللغوي وبخاصة العروض لم تكن معروفة لدى العرب، وإنما لنجد من جاء بعده قد تعرف على هذا العلم الذي كان من اختراع الخليل، ولم تهمل هذه المصطلحات عند من جاء من بعده، والدليل على ذلك أنك لو نظرت في لسان العرب لابن منظور ستجد أكثر مصطلحات العروض قد وردت في موقعها.

والخليل استقرأ اللغة العربية عبر جمع الأصوات في ترتيب المخارج بطريقة رياضية ضمن معادلة التباديل والتوافيق، فما وافق اللغة دلالة ومعنى أزال عنها العجم وفسرها، والتركيب اللغوي الذي له معنى سماه مستعملاً وما لم يكن له معنى سماه مهملاً.

وإذا نظرت في مقولة (هذا آخر كلام العرب)،¹ ستجدها ماثلة أمامك في كتاب العين؛ لأنه كتاب استقرائي توثيقي للكلمات العربية المستعملة والمهملة، وعلى هذا فقد تمّ في هذا الكتاب إحصاء تقاليبات العربية بما ضمت إلى جنبها الأصوات من صوت الهمزة إلى صوت الميم، ففي كلام الخليل حقيقة بالغة الأهمية؛ لأن اللغة المستعملة والمهملة نفدت ولم يعد لها مجال في أي تشكيل لغوي في كلمات لها معنى.

و"كان الخليل وقد ملك اللغة وعرف دقائقها وكيف تتم أبنية الكلام فيها ومم تتألف مادة تلك الأبنية، استطاع أن يقطع بصورة الكلمة وهندستها، ... فهو يبتدع الكلمة التي لا يمكن أن تكون في العربية؛ لأنها عريت عن صفات الكلمة العربية."x

لذلك تعرض المعجم لنقد عنيف ومآخذ من المتقدمين والمتأخرين، من أهمها:

1. التصحيف، والخطأ في الاشتقاق والتصريف.

2. إهماله الضبط.

3. وقوع خلط واضطراب في ترتيب بعض المواد وترتيبها، فلزم الاستدراك عليها.

4- وجود بعض آراء للكوفيين والاستشهاد بأشعار المحدثين، وورود روايات لبعض

رواة جاءوا بعد الخليل.

وبالنسبة إلى هذه المآخذ فلا شك أنها أخطاء وقعت ممن تناقلوا هذا الكتاب، فهذه

الأمور لا دخل للخليل فيها. xi، xii؛ لأن الخليل صاحب رؤية علمية تجريبية منطقية، وقد

يحاول بعض الأشخاص التغيير من أجل الإفساد في أي كتاب، ولكن لا يعني أنهم قد نالوا

من الخليل.

لذلك يقول البروفسور فؤاد سزكين: " والنقاش في هل ألف الخليل هذا المعجم أم أن

النص المتداول ليس من تصنيفه، شديد التعقيد، ويرجع إلى عصر متقدم وبعض المصادر

تسند إلى الليث بن المظفر دوراً بالغ الأهمية في رواية الكتاب وتعديله، بل حتى في إتمامه،

فىقال إنه اسئحوذ على الكئاب بعد موء الخلىل وأئمّه؛ ومن هنا كانت الأخطاء والأوهام الكئىرة فىه !

ومهما يكن من أمر فلقد حسم هذه القضىة بأدلة ملموسة الدكتور محمد رىاض كرىم فى كئابه: "القول الفصل فى نسبة كئاب العىن للخلىل" وأئبئ أن معجم "العىن" هو للخلىل بن أءمء الفراهىدى فقط. " xiii

الطرىقة والمنهج :

ما الذى جعل الخلىل ىئئار صوء العىن أساساً لمعجمه؟ قىل إن صوء العىن أنصع الأصوءات وأعماقها، وقىل أن الخلىل "اظمأن إلى ئرىب الكئاب حسب الحروف، وسمى كل حرف من حروف المعجم كئاباً، فبأه بكئاب العىن، واشئهر هذا الكئاب بـ(كئاب العىن)، لاسئهلالة به على عادة العرب فى كئىر من أسمائهم، كما ىئضح جلىاً فى كئىر من أسماء سور القرآن. xiv

قد نُسلم بهذه الآراء؛ ولكننا قد نرى أمراً آئر وهو أن صوء العىن فىه موسىقى خاصة ونغم لا ىوجد فى الأصوءات الأئرى وهو أيضاً من الأصوءات الرئانة xv، فلو ابئأ الخلىل بنطق صوء الهمزة قبل الأصوءات الصئىحة واللىنة، مثلاً، لوجدنا أن النطق بالأصوءات الثئائىة: أأ، أه، أع، أق، أك، وهكذا؛ وهى أصوءات ئرىب بصوص الهمزة لمعرفة مدرج الصوء، وبهذا ئعبر عن صوء واءء، فقول الخلىل: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى

الحلق متهوتة مضغوفة؁ فإذا رفّه عنها لانت إلى الىاء والواو والألف عن غير طرىقة الحروف الصأاح. "xvi لذلك ذُكر فى المزهر أن آلىة التفكفر الصوتى عند الخلىل؁ كما وصفها الخلىل: لم أبتأ "بالهمزة؛ لأنه يلحقها النقص والتغفر والحذف؁ ولا بالألف؛ لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ولا فى اسم ولا فعل إلا زائفة أو مبدلة؁ ولا بالهاء؛ لأنها مهموسة خفية لا صوت لها؛ فنزلت إلى الحفز الثانى؁ وفىه العفن والحاء؁ فوجدت العفن أنصع الحرففن؛ فابتأأت به لىكون أحسن فى التألف؁ ولىس العلم بتقدم شىء على شىء؛ لأنه كله مما فآأاف إلى معرفته؛ فبأى بأأت كان حسناً؁ وأولاهاف بالتقدم أكثرها تصرفاً" xvii

وقد فكون تفكفر "الخللىل أول الأمر فى جمع ألفاف اللغة العربفة بطرىقة استقصائفة حاصرة عن طرىق متابفة الحروف الأبجدفة إلا أن ذلك لم فآفسر له؁ فآف أوضح فى مقدمة كتابه "العفن" أن الحروف الأبجدفة لم تسعفه فى ذلك؛ لأنه وجد أن الألف لا استقرار لها؛ فعدل عنها؁ ولمّا لم فببأ بالحرف الأول؁ كره البدء بما فلىه؁ وهو الباء؛ لذلك نجد أنه آآفه آآافاً آفر فآقق هدفه من خلاله؁ فجمع الألفاف حسب مآارجهاف مراعياً فى ذلك الناففة الصوتفة؁ فبأ الحروف الحلقفة؁ وثنى باللسانفة؁ وثلث بالشفوفة؁ وختم بالجوففة.

وعندما تناول أول المآارج من الداخل؁ أو أبعداهاف من الخارج؁ نجد أنه رأى أن العفن

أول حروف الحلق قوّة. " xviii

ولذلك وجد الخليل في صوت العين المركز الذي ينطلق منه إلى سائر التراكيب والمعاني، وهو أقرب للنفس.

وفي المقابل نجد أن الأصوات الحلقية قد استثنيت من تركيبة الكلمات الثنائية، وبدأ الخليل من صوت القاف، أي: عق، قع، عك، كع، عج، جع، عش، شع، عض، ضع، عص، صع، عس، سع، عز، زع، عط، طع، عد، دع، عت، تع، عذ، ذع، عث، ثع، عر، رع، عل، لع، عن، نع، عف، فع، عب، بع، عم، مع.

وبذلك نلاحظ قرب الأصوات وهي قائمة في نفس حيز المخرج، ولو بدأ من صوت القاف والكاف، لوجد نفس المشكلة في عدم نطق الأصوات من نفس المخرج.

وبهذا يستطيع المرء أن ينظر إلى المفردات الدالة بتقلباتها المتعددة، وهذا يعني أن المفردات كلها كانت مستخدمة، وعند النظر إلى نظرية الاستعمال والاهمال، سنجد هذه المفردات تستعمل في زمن ما وتهمل في زمن آخر؛ ففي زمن الخليل كان للمفردات دلالتها الخاصة المعبرة عن الشكل والمضمون، وعلى هذا الأساس وثق الخليل كل مفردات اللغة المستخدمة، وترك معظم أصوات المفردات المهملة التي لم يجد لها معنى.

وانطلاقاً من هذا المبدأ يقول ابن دريد **xix**: "إذا أردت أن تُؤلفَ بناءً ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة، ثم أدر دائرة فوق ثلاثة أحرف حواليتها، ثم فكّها من عند كل حرف يمينة ويسرة، حتى تُفكَّ الأحرف الثلاثة فيخرج من



الآلاى سآة أبنىة آلاآىة؁ وآسعة أبنىة آناآىة؁ فإذا فعلآ ذلك اسآقصىآ كلام العرب ما آكلما به؁ وما رغبوا عنه"xx.

"فعلّ الآلىل بآألفه يعدّ أول من سعى إلى وضع مصنّف آامع؁ أراد به اسآآعاب آمىع أفاظ العربىة؁ معآمداً فى ذلك على ما صنّفه سابقوه من آألف مفردة؁ وإن كانت أىضاً معاجم مآواضعة وكان الآآدآد الآخر - فىما يظهر - هو أنه - أى الآلىل - ربّبه على نظام المآارج والآقالىب.

ومن الطبقى أن يحظى معجم "العىن" فى زماى مبكر بمنزلة المصنّف المآآذى فى صناعة المعاجم؛ فإذا كان فى كتاب "العىن" شىء من القصور؁ وإذا كان قد وُجّه إلى شىء من النقد؁ فإن هذا أو ذاك لم سآآع أن يغضّ من شأنه؁ أو أن ىنال من مكانآه البارزة. "xxi

وبهذا الآألف أقام الآلىل العملىآ الآسابىة فى المعجم آآى ىآسنى له النظر فى آلىة النطق عبر مدارآ الأصواآ ومآارجها.

علم الأصواآ والعملىآ الآسابىة فى المعجم :

وفى النظر إلى العملىآ الآسابىة عن طرىق الآوافىق والآبادىل والاحآمالاآ؁ أسسنا برنامآاً آاسوبياً يعالآ آقلىباآ وآبادىل الأصواآ آسب آلىة النطق من الأصواآ الآلقىة



(ع، ح، هـ، خ، غ)، كما يراها الخليل، ثم أصوات مركزية الإنطلاق، تحدد كيفية آلية النطق عبر حركية اندفاع الهواء، وإنتاج الصوت اللغوي؛ فبدأ بصوت العين، وتدرج بالأصوات من القاف إلى الميم، وتبعها بالأصوات المتغيرة، و، ا، ي- همزة:

ع — ق، ك، - ج، ش، ض، - ص، س، ز - ط، د، ت - ظ، ث، ذ - ر، ل، ن - ف، ب، م - و، ا، ي- همزة.

ولهذا نجد لصوت العين آليةً تُطَقِّعُ مختلفةً عن الأصوات الأخرى في النظام اللغوي العربي؛ فهو "صوت حلقي استمراري مجهور متوتر"؛ فاستمراري لأن تيار الهواء لا يتوقف، ولا يحدث التقاء أي عضوين عند نطق هذا الصوت أصلاً، وهو صوت مجهور؛ لأن الوترين الصوتيين يتذبذبان عند النطق، وهو صوت متوتر لحدوث جهد عضلي زائد عند النطق. xxii

وهذه الطريقة اتبعها أيضاً مع جميع الأصوات الحلقية؛ لأن الأصوات الحلقية لم يأتلف بعضها مع بعض بتاتاً.

ثم بدأ بصوت الحاء، وتدرج بالأصوات من القاف إلى الميم وأتبعها بالأصوات المتغيرة . و، ا، ي- همزة:

ح — ق، ك، - ج، ش، ض، - ص، س، ز - ط، د، ت - ظ، ث، ذ - ر، ل، ن - ف، ب، م - و، ا، ي- همزة.

ثم بدأ بصوت الهاء، وتدرج بالأصوات من القاف إلى الميم وأتبعها بالأصوات المتغيرة . و،

ا، ي- همزة:

هـ - ق، ك، - ج، ش، ض، - ص، س، ز- ط، د، ت - ظ، ث، ذ - ر، ل، ن

- ف، ب، م - و، ا، ي- همزة

ثم بدأ بصوت الخاء، وتدرج بالأصوات من القاف إلى الميم وأتبعها بالأصوات المتغيرة . و،

ا، ي- همزة:

خ - ق، ك، - ج، ش، ض، - ص، س، ز- ط، د، ت - ظ، ث، ذ - ر، ل، ن - ف،

ب، م - و، ا، ي- همزة

ثم بدأ بصوت الغين، وتدرج بالأصوات من القاف إلى الميم وأتبعها بالأصوات المتغيرة . و،

ا، ي- همزة:

غ - ق، ك، - ج، ش، ض، - ص، س، ز- ط، د، ت - ظ، ث، ذ - ر، ل، ن - ف،

ب، م - و، ا، ي- همزة.

فالأصوات الحلقية إذاً . كما يراها الخليل . لم تأتلف في كلمة ثنائية واحدة متجاورة؛ إلا أن

تتباعد ويحجب بينها صوت واحد من الأصوات الفموية، أو الشفوية، أو الأنفية، أو اللثوية.

وبعد أن انتهى من الكلمات الثنائية أضاف صوتاً آخر من هذه الثنائيات لتصبح

الكلمات ثلاثية الأصوات، وهكذا حتى حصل على الكلمات الرباعية والخماسية بإضافة



صوت في عمليات متتابعة من الأصوات الحلقية إلى الأصوات الشفوية، انتهاء بالأصوات اللينة.

إن الأسلوب الذي اتبعه الخليل لم يكن أمراً عادياً بل ابتكاراً جديداً لنظامٍ رياضي حصر فيه مفردات اللغة المستعملة والمهملة، عن طريق حسه الموسيقي، وهذا الحس هو الذي هداه إلى طريقة وضع فيها أسس ترتيب المعجم ترتيباً أبجدياً على أساس صوتي يعتمد على مخارج الحروف. **xxiii** وكان النضر بن شميل من علماء اللغة المتقدمين يقول: "أكلت الدنيا بأدب الخليل وكتبه وهو في خصّ لا يُشعر به" **xxiv**.

فبهذه العبارة سنجد رسوخ العلم، وعمق الفكرة عند الخليل، وبها نلج إلى عمليات وآليات التفكير عنده، وخصوصاً آلية النطق وأثرها في صناعة كتاب معجم العين، وهذا مما استدعى اكتشاف النمط والمنهج عند الخليل.

ولم يستطع أحد من المتقدمين أو ممن عاصر الخليل من علماء العربية أن يهتدي إلى وضع معجم عبر استيفاء العربية بصنعة محكمة قائمة على الاستقراء الوافي، وهذا الاستقراء أقرب إلى ما يدعى بـ(الإحصاء) في عصرنا الحاضر. **xxv**

" فالخليل الذي يعيش في جو الأصوات والأنغام: في قراءة القرآن، وفي تفعيلات العروض، وفي ألحان الموسيقى وإيقاعاتها، يبتكر نظاماً جديداً قائماً على الأصوات... ، **xxvi** حتى إن مقدمة العين على إيجازها، تعتبر عند علماء العربية أول مادة في علم



الأصوات دلت على أصالة علم الخليل، وأنه صاحب هذا العلم ورائده الأول. xxvii وفيها "أول تصنيف للأصوات حسب (موضع النطق)، أو حسب (الأحياز والمخارج)، مما جعله يتوصل إلى تقسيم الأصوات إلى (الأصوات الصحيحة)، أو (الحروف الصحاح)، وإلى الأصوات اللينة أو الهوائية .. أي أننا نستطيع القول إنه ميز الأصوات الصامتة من الأصوات الصائتة أو المصوتة. xxviii

وفي هذه المقدمة ستجد "مادة غزيرة في علم الأصوات العربية، وعلم وظائف الأصوات. وبهذا تعد من أهم الوثائق في علم اللغة التاريخي وذلك لتقدمها؛ ولأن صاحبها مبتدع مؤسس لم يأخذ علمه هذا عن معاصر له أو سابق عليه. xxix

وفي نهاية هذا التطواف لا نستطيع أن نقول فيما صنعه الخليل أكثر من قول ابن دريد في خطبته: قد ألف الخليل بن أحمد كتاب العين؛ فأتعب من تصدى لغايته، وعنّى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكل من بعده له تبع، أقر بذلك أم جحد؛ ولكنه رحمه الله . ألف كتابه مشاكلاً لثقوب فهمه، وذكاء فطنته، وحدة أذهان أهل دهره. xxx

ولذلك قام كثير من الدارسين بالنظر في كتاب العين مستعينين بكل ما أوتوا من قوة، فحصلوا على معلومات ثمينة حول هذا الكتاب، فلقد أجادوا وأحسنوا ولهم منا الدعاء. xxxi



الهوامش :

1. - ديريك بيكرتون، اللغة وسلوك الإنسان، جامعة الملك سعود، الرياض، 2000، ص 53. 1
2. - الدكتور محمد السيد علي بلاسي عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر، دراسة عن كتاب العين نشرت عبر الشبكة العنكبوتية. 1
3. - كيس فرستغ، اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، 1 القاهرة، 2003، ص 86.
4. - انظر: كتاب العين، تحقيق المخزومي والسمرائي، ص 19-126. 1
5. - هادي نهر، الأساس في فقه اللغة العربية، دار الأمل، إريد، ط2، 2005، ص 229. 1
6. - انظر: كتاب العين، تحقيق المخزومي والسمرائي، ص 254-255. 1
7. - انظر: الدكتور محمد السيد علي بلاسي، دراسة عن كتاب العين نشرت عبر الشبكة العنكبوتية. 1
8. المجال، والوظيفية، والمنهج، دار الكتب الحديثة، إريد، 2005، - - انظر: سمير استيتية، اللسانيات اللغوية 1 ص 17.
9. - انظر: السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، دار الجليل، بيروت، ج1، د.ت، ص 64. 1
10. - كتاب العين، تحقيق المخزومي والسمرائي، ص 13. 1
11. - سعيد حسن بحيري، المدخل إلى مصادر اللغة العربية، المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2008، ص 1. 255
12. - انظر: كتاب العين، تحقيق المخزومي والسمرائي، ص 7. 1
13. - انظر: الدكتور محمد السيد علي بلاسي، دراسة عن كتاب العين نشرت عبر الشبكة العنكبوتية. 1
14. - حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر، القاهرة، ط2، 1988، ص 175. 1
15. - انظر: سمير استيتية، اللسانيات اللغوية، ص 138. 1
16. - كتاب العين، تحقيق المخزومي والسمرائي، ص 52. 1
17. وانظر: حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص 192. 1
18. - السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ص 90. 1
19. - انظر: الدكتور محمد السيد علي بلاسي، دراسة عن كتاب العين نشرت عبر الشبكة العنكبوتية. 1
20. - انظر: كتاب فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 14. 1
21. ابن دريد (223-321) هـ (839-934م)، هو أبو بكر محمد بن دريد الأزدي، له من الكتب كتاب الجمهرة في اللغة، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الخيل الكبير، وكتاب الخيل الصغير، وكتاب الأنواء، وكتاب الملاحن وكتاب أدب الكتاب.
22. - السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ص 71-72. 1
23. - انظر: الدكتور محمد السيد علي بلاسي، دراسة عن كتاب العين نشرت عبر الشبكة العنكبوتية. 1